**خطبة تأملات في سورة التكاثر**

**عادل المحلاوي**

**الحمد لله الذي أنزل كتابه شفاء للقلوب ، وتبصرة للنفوس ، جعله هدى للناس وبيّنات من الهدى والفرقان ، وأصلي وأسلم على خير من فقه أمر ربه ، وعمل بما يُرضيه ، وزهد في الدنيا ورغب فيما عند الله ، وبعد /**

**فأوصيكم ونفسي بتقوى الله .**

**{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ } (سورة الحشر : 18)**

**عباد الله /**

**لو سُئل الكثير من المسلمين لماذا خُلقت ؟**

**لأجابك : خُلقتُ لعبادة الله ولاستشهد لك بالدليل القرآني المحكم وهو قول الله تعالى :**

**{ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } (سورة الذاريات : 56)**

**وهو جواب سديد ونفيس وعظيم ، وبه النجاة من عذاب الله متى ما قام العبد بموجب هذه العبادة .**

**ولكن يبقى التقصير في العبادة منّا ظاهر ، والغفلة عن هذه الغاية العظمى غالب ، والإلتهاء بالدنيا وزخرفها قد سيطر على الكثير ، وفي كتاب ربنا عز وجل سورة قصيرة توقظ النفوس ، وتشفي القلوب ، وتُحذرنا من هذه الغفلة ، وعدم الانسياق خلف سراب الدنيا الخادع حتى لا يُشغلنا عن هذا المقصد العظيم ، تلكم هي - يا عباد الله - سورة التكاثر ، يقول الله تبارك وتعالى فيها :**

**{ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (1) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (2) كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (3) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (4) كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (5) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (6) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ (7) ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ (8) }**

**فيُخبر ربنا - عز وجلّ - عن حال كثير من الخلق وكيف ألهاهم التكاثر فانشغلوا به عن ماينفعهم ، ولم يذكر عز وجل ما هو الأمر المتكَاثرُ به ليعم كل لهو تكاثر وتشاغل به الناس عن مقصد وجودهم ، فقد يكون هذا التكاثر مالاً يُشغل حياتهم كلها ، وقد تكون عشيرة يُفاخر بها المرء ، وقد يكون لعباً ولهواً يُشغل وقته النفيس وحياته التي وُهِبت له ليعبد الله فيها .**

**وكل ذلك مذموم لأننا إنّما خُلقنا لعبادة الله فقط ، وليس معنى العبادة الصلاة وتلاوة القرآن فقط بل كل عمل بذاته أو كان وسيلة يُرضي الله فهو عبادة كالزواج والتجارة ونحوها بشرط أن لا يُلهي ولا يُشغل عن عبادة الله .**

**وحتى الترويح فإنّه غير مذموم في الجملة إلا إذا غلب على حال العبد وأشغل وقته كله .**

**عباد الله /**

**لقد حذرنا الله عن هذا التكاثر حتى لا نغفل عن بغتة الموت ، وساعة النقلة من الدنيا إلى دار الجزاء والحساب ، فقال سبحانه : ( حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ )**

**وكثير من الناس يفهم هذه الآية على غير المعنى الصحيح ، فيظنّ أنّ المقصود منها الزيارة القصيرة التي يقوم بها الأحياء للأموات ثم يرجعون لدنياهم وليس هذا هو المراد بالآية ، بل المعنى - كما قرر أهل التفسير - أنّ مدة بقاء الموتى في قبورهم قليل كمدة بقاء الزائر عند المزور ، وهذا يدل على أنّ الحساب عند الله غير الحساب عند أهل الدنيا ، قال سبحانه :**

**{ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ } ( سورة الحج : 47)**

**قرأ أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رحمه الله - وهو العالمُ الفقيه هذه الآية ﴿ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴾ فقال :**

**إن الزائر غير مقيم فهو يوشك أن يرتحل ، فهي والله نُقْلَتُهم إما إلى جنة أو إلى نار .**

**وبمثل هذا فهم أحد الأعراب لما سمع هذه الآية الكريمة ﴿ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴾ فقال:**

**بُعثوا وربِّ الكعبة إلى منقلبهم الدائم .**

**نعم ياعباد إنّها الحقيقة التي ينبغي أن نستحضرها على الدوام وهي أنّه لا أعظم من شأن الآخرة ، ولا أقرب منها ، فالعبد إن مات قامت قيامتُه .**

**وإذا كان بقاء المرء في قبره - وهو أطول بكثير من بقائه في الدنيا - كبقاء الزائر ، فماذا عسى أن يُقال عن حياته الدنيا !؟**

**ثم تمضي إيات السورة في الوعيد للغافلين ( كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (3) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ )**

**قال الإمام الحسن البصري رحمه الله: (هذا وَعِيدٌ بعد وعيد)**

**وعيدُ من الله للغافلين السادرين اللاهين في دنياهم وأنّهم سيعلمون الحقائق التي كانوا غافلين عنها أو غير مصدقين بها .**

**أيّها الناس /**

**لو أنّ المرء هدده وتوعده رجلٌ له سلطان وقوة لظل خائفاً منه ، فكيف - ولله المثل الأعلى - أنّ الذي توّعد العباد هنا هو الله القوي العزيز .**

**ولكنّ المؤمن بربه وآياته يعلم بما تعلّم وقرأ من كتاب الله طرفاً من هذه الحقائق ، فعمل للنجاة منها ، وسعى في فكاك رقبته من عذاب الله ، بفعل ما أُمر به وترك ما نُهي عنه ، فليحذر الناصح لنفسه سبيل الغافلين .**

**ثم قال تعالى { كَلا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ } أَيْ :**

**لو علمتم حَقَّ العلم، لما أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ عن طلب الدار الآخرة حتى صرتم إلى المقابر ، فمن عرف حقيقة الدنيا والآخرة زهد في الأولى ، ورغب في الثانية أعظم الرغبة إذ لا مقارنة بين الدنيا القصيرة ، والآخرة التي لا انتهاء لها ، ولا مقارنة بين دار مُلئت بكل ألم ودار امتلأت بكل فرح وسرور .**

**ومن علِم علْم اليقين صار كأنّما يرى الجنّة والنار رأي عين ، فعمل للنجاة منها لشدة يقينه بها ولئن كان المؤمن لم يرها في الدنيا فخبر الله عنده بمنزلة اليقين .**

**قال ابن كثير في تفسيره عند قوله تعالى :**

**﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ هَذَا تَفْسِيرُ الْوَعِيدِ الْمُتَقَدِّمُ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿كَلا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ تَوعَّدَهم بِهَذَا الْحَالِ، وَهِيَ رُؤْيَةُ النَّارِ الَّتِي إِذَا زَفَرَتْ زَفْرَةً خَرَّ كُلُّ مَلَكٍ مُقَرَّبٍ، وَنَبِيٍّ مُرْسَلٍ عَلَى رُكْبَتَيْهِ، مِنَ الْمَهَابَةِ وَالْعَظَمَةِ وَمُعَايَنَةِ الْأَهْوَال ، فاللهم ارزقنا النافع الذي ينفعنا ويحملنا على طاعتك .**

**بارك الله لي ولكم في القرآن الكريم ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم .**

**الخطبة الثانية /**

**الحمد لله الرحيم التواب ، الغفور المتعال ، والصلاة والسلام على من بعثه الله رحمة للأنام وبعد .**

**فقد خُتمت هذه السورة المباركة بقوله :( ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ )**

**وهو أمر ينبغي أن يكون من المؤمن على بال ، فكل نعيم أنعم الله به على عبده فهو موضع سؤال بين يدي الله ، وهذا أمرٌ ليس بالهيّن ، أخرج الإمام أحمد في مسنده عن**

**عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ : قَالَ الزُّبَيْرُ : لَمَّا نَزَلَتْ :**

**﴿ ثُمّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لِأَيِّ نَعِيمٍ نُسْأَلُ عَنْهُ ، وَإِنَّمَا هُمَا الْأَسْوَدَانِ التَّمْرُ وَالْمَاءُ ؟**

**قَالَ : " إِنَّ ذَلِكَ سَيَكُونُ " .**

**وروى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قَالَ : النَّبِيُّ ﷺ:**

**" إِنَّ أَوَّلَ مَا يُسْأَلُ عَنْهُ - يَعْنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ - الْعَبْدُ مِنَ النَّعِيمِ أَنْ يُقَالَ لَهُ : أَلَمْ نُصِحّ لك جسمك ، ونُرْوكَ من الماء البارد؟ "**

**وروى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ في تفسيره عَنْ عِكْرِمَةَ قَالَ :**

**لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ قَالَتِ الصَّحَابَةُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَأَيُّ نَعِيمٍ نَحْنُ فِيهِ ، وَإِنَّمَا نَأْكُلُ فِي أَنْصَافِ بُطُونِنَا خُبْزَ الشَّعِيرِ ؟**

**فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى نَبِيِّهِ ﷺ: قُلْ لَهُمْ : أَلَيْسَ تَحْتَذُونَ النِّعَالَ ، وَتَشْرَبُونَ الْمَاءَ الْبَارِدَ ؟ فَهَذَا مِنَ النَّعِيمِ.**

**وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: يُسألُ العبد حَتَّى عَنْ شَرْبَةِ عَسَل .**

**وَقَالَ مُجَاهِدٌ: وعَنْ كُلِّ لَذَّةٍ مِنْ لَذَّاتِ الدُّنْيَا .**

**وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ : يُسألُ نَعِيمُ الْغَدَاءِ وَالْعَشَاءِ .**

**وَقَالَ أَبُو قِلابة: مِنَ النَّعِيمِ أَكْلُ الْعَسَلِ وَالسَّمْنِ بِالْخَبْزِ النَّقِيِّ .**

**وعن أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ :**

**" يَقُولُ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ - يوم القيامة -: يا بن آدَمَ ، حَمَلْتُكَ عَلَى الْخَيْلِ وَالْإِبِل ، وَزَوَّجْتُكَ النِّسَاءَ ، وَجَعَلْتُكَ تَرْبَع وَتَرْأَسُ ، فَأَيْنَ شُكْرُ ذَلِكَ ؟ " رواه الإمام إحمد .**

**فكم هي النعم التي نرفل بها صباح مساء - ياعباد الله - ؟**

**نِعمٌ في كل جزء من أجسادنا ، وكل ناحية من نواحي حياتنا ؛ انظر لنعمة الصحة والعافية ، ونعمة برد الماء وهناء الطعام .**

**وانظر لنعم الله عليك في ولدك ومالك وأمنك ، وانظر لنعم الله في رزقك وفي كل جزء من جسدك .**

**نعم لا يمكن إحصاؤها أو تعدداها ، وصدق الله { وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ } ( سورة إبراهيم : 34)**

**والكثير يستصغر كثيراً من نعم الله التي منّ بها عليه ، ويرى نفسه - عياذاً بالله - مستحقاً لأكبر وما علم أنّ فضل الله عليه لا يُحصى ، ولئن فاتته بعض النعم الدنيوية فلينظر لمن حُرم أكثرها .**

**فلا تستحقر سكناً وغيرُك في العراء .**

**ولا تسحتقر طعاماً وغيرُك يبيت طاوياً جائعاً لا يجد قوت نفسه ولا قوت أولاده .**

**ولا تتضجر من فوات شئياً من عافية جسدك وغيرُك يبيت على فراش المرض منذ عشرات السنين .**

**فاحمد الله على نعمه ، واشكره لتثبت وتزداد ، واسأل ربك السلامة يوم السؤال عن النعيم .**

**صلوا على خير من شكر وعرف نعم ربه ، واستخدم جوارحه في طاعة ربه ، فكان عبداً شكوراً ....**